الرسالة

(١ كورنثوس ١٥: ١-١١)

يا إخوةُ أعرِّفكم بالإنجيلِ الذي بشَّرتُكم به وقبلتموه وأنتم قائمون فيه* وبه أيضاً تخلُصون بأيِّ كلامٍ بشَّرتُكم به إن كنتم تذكرون إلاَّ أن تكونوا قد آمنتم باطلًا* فإنّي قد سلَّمتُ إليكم أوّلاً ما تسلَّمته أنَّ المسيحَ ماتَ من أجلِ خطايانا على ما في الكتب* وأنَّه قُبِرَ وأنَّه قام في اليومِ الثالث على ما في الكتب* وأنَّه تراءى لصفا ثمّ للإثني عَشَر* ثمّ تراءى لأكثر من خمسِ مئةِ أخٍ دفعةً واحدةً أكثرهم باقٍ إلى الآن وبعضهم قد رقدوا* ثمّ تراءى ليعقوبَ ثمّ لجميعِ الرسل* وآخِرَ الكلِّ تراءى لي أنا أيضاً كأنَّه للسِّقط* لأنّي أنا أصغَرُ الرسلِ ولستُ أهلًا لأن أُسمَّى رسولًا لأنّي اضطهدتُ كنيسةَ الله* لكنّي بنعمةِ الله أنا ما أنا. ونعمتُهُ المعطاةُ لي لم تكن باطِلةً بل تعبتُ أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا بل نعمةُ اللهِ التي معي* فسَواءً

سبيل الملكوت

بعدما انتهى اللهُ من تحضيرِ العالم للإنسانِ المُزمِع أن يخلقَه، جبلَ ترابًا وصنع منه جسدًا، ثمّ نفخَ فيه من روحِه القدّوس نسمةَ حياةٍ. عندما خلقَ اللهُ الإنسانَ، أعطاهُ طبيعتين: جسدّيةً وروحيّةً، ولم يكن كلُّ هذا من دون غاية.

قبلَ السقوطِ، كان الإنسانُ يعيش بحسبِ روحِ اللهِ المنفوخِ فيهِ، أي بحسبِ نعمةِ الروحِ القدس. لم يكن يعيش حسبَ جسدِهِ، ولم يكن يهتمّ بما يأكلُ أو يشرب، كما لم يكن واعيًا أصلاً أنّه عارٍ. إذًا، لم يُعِر الإنسان جسدَهُ المادّيَّ أيَّ اهتمامٍ قبل سقوطه، بل كان كلُّ اتّكالِه على اللهِ فقط. بقيَ الإنسانُ على هذه الحال إلى أن أغوت الحيّةُ حوّاءَ مجرّبةً إيّاها ومستفيدةً من الحريّةِ التي وهبها اللهُ للجنسِ البشريّ عندما نفخ فيهِ نسمةَ الحياةِ. نفخَ اللهُ في الإنسان روحَهُ فعاشَ، والحيّةُ نفثت سمّها فأغوَتْهُ ومات.

إنَّ هدفَ كلِّ إنسانٍ مسيحيّ هو ملكوتُ اللهِ وبرُّهُ، لتتمّ وصيّةُ السيّد: «أطلبوا أوّلًا ملكوتَ اللهِ وبرَّهُ» (مت ٦: ٣٣). ليس الملكوتُ مجرّدَ مكانٍ أُخرويّ نصلُ إليهِ بعدَ موتِنا، لكنّنا نحياهُ منذُ الآن. نعم، نحن نستطيعُ أن نحيا هذا الملكوتَ ونكونَ منارةً له، مثلما فعل القدّيسون إذ عاشوا الملكوتَ ونقلوهُ إلى غيرِهم. لا يمكننا الفصل بين أناسٍ عاديّين وأناس «قدّيسين»، لأنَّنا كلّنا مدعوّونَ إلى القداسة: «كونوا قدّيسين لأني أنا قدّوسٌ» (١بط ١: ١٦) و«كونوا أنتم كاملين كما أنَّ أباكم الذي في السموات هو كاملٌ» (مت ٥: ٤٨). يجب ألاّ نتكاسل ونتحجّج أنّ «الإرادة حاضرة عندي وأما أن أفعل الحسنى فلستُ أجد» (رو ٧: ١٨)، بل فلننتصبْ أمام الربّ ولنكن أعمدةً ناريّةً حاملةً الربَّ يسوعَ وناقلةً إيّاهُ، بهيكل الروح القدس، متمّمينَ ملكوت الله الأزليّ في أجسادِنا الفانيةِ، ومُنيرينَ الآخرينَ بهذه الحياة السامية. عيشُ الملكوتِ هذا هو المحبّةُ الغريبة عن العالم الساقط الذي يسوده الشر والفساد. نستطيعُ أن نعيش ملكوتَ اللهِ مسبقًا على

العدد ٣٣ / ٢٠١٨
الأحد ١٩ آب
تذكار الشهيد أندراوس
قائد الجيش ورفقته
اللحن الثالث
إنجيل السَحَر الأوّل

الأرض وأن ننقلَهُ للآخرين، فما السبيلُ لتذوّق هذا الملكوتَ المُشتهى؟

عندما سأل الشابُّ الغنيُّ الربَّ يسوعَ في الإنجيل بحسب الإنجيليّ متى (١٩: ١٦–٢٤) عن كيفيّة ربح الحياة الأبديّة، أوصاه الربُّ طالبًا منه أن يحفظ الوصايا. عندما تبيَّن أنّ الشابّ قد حفظَها منذ صباه، طلب منه أن يترك أمواله والعالمَ لكي يكون كاملاً. إذًا، السبيل نحو الملكوت هو أوّلاً حفظُ الوصايا. لا تعني كلمةُ «حفظ» ترددَ هذه الوصايا عن ظهر قلب. يقتضي حفظ الوصايا العملَ بها، وقد بسّط لنا ربُّنا يسوعُ الوصايا المُعطاة لموسى جامعًا إيّاها في وصيّتين شاملتين جوهريّتين: «تحبّ الربّ إلهك من كلّ قلبك ومن كلّ فكرك ومن كلّ قدرتك» و«تحبّ قريبك كنفسك» (مر ١٢: ٣٠–٣١). هذه المحبّة هي الدفّة التي تُسيّر حياتنا، والتي لا تستطيع إلّا أن تبذل نفسها في سبيل الآخر، مثلما فعل الربُّ يسوع في تدبيره الخلاصيّ: «هكذا أحبّ اللهُ العالمَ حتى بذل ابنه الوحيد» (يو ٣: ١٦). قد تبدو وصيّتا الربّ يسوع سهلتين للوهلة الأولى، لكن بعد التمعّن بهما، نجدهما من أصعب الوصايا. كيف لنا أن نحبّ الله وجُلَّ ما نهتمّ به هو جسدنا الفاني، وكيف لنا أن نحبّه من كلّ قلوبنا إن كانت هذه القلوب مليئة بالحقد والكراهية؟ لا مكان في قلوبنا يسع اللهَ والحقدَ والكراهيةَ والظلمَ معًا، فإمّا الله وحده أو تلك الرذائل. أيضًا، كيف لنا أن نحبّه بفكرنا إن كان هذا الفكر شاذًّا ودنِسًا؟ أم كيف نحبّه بقدرتنا ونحن لا قوّة لنا تجاه تجارب الشرّير؟

إنّ محبّة القريب هي من محبّة الله، أو الأصحّ أنّ محبّة الله هي محبّة القريب. مَثَلُ الدّينونة (مت ٢٥: ٣١–٤٦) هو خيُر مثال ودرس حول هذا الموضوع. مَن يصنع أعمال الرّحمة المسيحيّة بإخوته الصّغار يكون قد صنعها مع الربّ، ومَن لا يفعلها، منعها عن الربّ. أيضًا، مَن أحبَّ الآخر خلّصَ نفسَهُ، ومَن أحبَّ نفسَه أهلَكَها. نستطيع تشبيه العلاقة بين الإنسان والله والآخر بمثلّثٍ متساوي الأضلع: كلّما اقتربنا من الآخر اقتربنا من الله نفسه، إذ إنّ المسافة بيني وبين الله تساوي المسافة بيني وبين الآخر. إذًا، السبيلُ الوحيد للعودة إلى حالة الإنسان الأولى، هي أن نحفظ الوصيّتين الجوهريّتين اللّتين أعطانا إيّاهما الربّ يسوع، تاليًا أن نعيش بحسب الروح وليس بحسب الجسد، من دون أن ننسى إرادتنا الحرّة التي يجب أن تُفعّل هذه الحياة، واضعين في الربّ رجاءَ خلاصِنا.

إرادة التغيير

كلّ إنسان سَويّ لديه رغبة طبيعيّة في أن تكون حاله أفضل ممّا هي عليه من جميع النواحي: روحيًّا، نفسيًّا، جسديًّا، ماديًّا، إجتماعيًّا، وأخلاقيًّا... ثمّة شعور دائم بعدم الرضى أو عدم الإكتفاء بما لدينا، تاليًا نطمح نحو الأفضل والأحسن. هذا شعور جيّد، إذ إنّ الإستمتاع أو الإكتفاء بما لدينا هو علامة رضوخ وانحدار وعدم رغبة في النموّ والتطوّر. يسعى الإنسان نحو التطوّر، أي لديه سعي دائم نحو التغيير.

كنتُ أنا أم أولئك هكذا نكرِزُ وهكذا آمنتم.

الإنجيل

(متى ١٩: ١٦–٢٦)

في ذلك الزمانِ دنا إلى يسوعَ شابٌّ وجثا لهُ قائلاً: أيُّها المعلّمُ الصالحُ ماذا أعملُ مِنَ الصلاحِ لتكونَ لي الحياةُ الأبديَّة* فقال لهُ: لماذا تدعوني صالحاً وما صالحٌ إلاّ واحدٌ وهو الله. ولكن إن كنتَ تريدُ أن تدخلَ الحياةَ فاحْفَظِ الوصايا* فقال له: أيَّةَ وصايا. قال يسوعُ: لا تقتُل، لا تزنِ، لا تسرق، لا تشهد بالزور* أكرِم أباك وأمَّك، أحبِب قريبك كنفسِك* قال له الشابُّ: كلُّ هذا قد حفِظْتُهُ منذ صبائي فماذا ينقصني بعدُ* قال له يسوعُ: إن كنتَ تريد أن تكونَ كاملاً فاذْهَبْ وبِعْ كلَّ شيءٍ لك وأعْطِهِ للمساكين فيكونَ لك كنزٌ في السماءِ وتعالَ اتبعني* فلمَّا سمع الشابُّ هذا الكلامَ مضى حزيناً لأنَّه كان ذا مالٍ كثير* فقال يسوعُ لتلاميذه: الحقَّ أقولُ لكم إنَّه يعسُرُ على الغنيِّ دخولُ ملكوتِ السموات* وأيضاً أقولُ لكم إنَّ مرورَ الجَمَلِ من ثَقْبِ الإبرةِ لأسهلُ من دخولِ غنيّ ملكوتَ السموات* فلمَّا سمع تلاميذُهُ بُهتوا جدًّا وقالوا

مَن يستطيعُ إذاً أن يخلُصَ؟ فنظرَ يسوعُ إليهم وقال لهم: أمّا عند الناسِ فلا يُستطاع هذا وأمّا عندَ اللهِ فكلُّ شيءٍ مُستطاعٌ.

تأمل

عندما قال المسيح للشاب: «إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا»، أجابه «أية وصايا؟». لا بهدف تجربته حاشا، بل لأنه كان يعتقد أنّ هنالك وصايا أخرى خارج وصايا الناموس باستطاعتها أن تمنحه الحياة الأبدية، الأمر الذي يميّز الإنسان المتقدّم برغبة شديدة. وبعد أن طلب منه يسوع حفظ وصايا الناموس أجاب: «هذه كلّها حفظتها منذ صبائي» ولم يقف عند هذا الحدّ بل سأل أيضاً: «فماذا ينقصني بعد»؟ سؤاله يبرهن عن رغبة كبيرة في الخلاص. يجب ألاّ نستخفّ بالأمر، لأنه اعتقدَ أن شيئاً كان ينقصه واعتبر أنّ وصايا الناموس غير كافية للوصول إلى ما يشتهيه.

ماذا فعل عندئذ المسيح؟ أراد أن يقدّم له وصيّة كبيرة مضيفاً عليها الجوائز عندما قال له: «إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعطِ الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني» (مت ١٩: ٢١).

أرأيت كم من الجوائز

إلاّ أنّ تغيير نمط الحياة، أو الحياة ككلّ، لا يكون عبر البغض أو الرغبة في أذيّة الآخرين وإهانتهم وإدانتهم. نحن نتغيّر نحو الأفضل بالمحبّة والتسامح. الكراهية لا تدمّر القلب روحيًّا فقط، بل لديها مفاعيلها السيّئة على المستوى الجسديّ أيضًا: «المشيرون بالسلام لهم فرح... الغمُّ في قلب الرجل يُحنيه والكلمة الطيّبة تفرحه» (أم ١٢: ٢٠ و٢٥). الرغبة في أذيّة الآخرين تدمّر هويّة الإنسان وكيانه. نحن نُعطى كلّ القوى التغييريّة بواسطة روح سلاميٍّ وقلبٍ محبٍّ وعطوف.

لا يكمن التغيير في الإمتناع أو اقتلاع كلّ أمرٍ سيّئ فقط، بل عليه أن يترافق مع غرس الصلاح والخير مكانه. الأمر نفسه يقوم به الفلاّح إذ يقتلع كل الأعشاب البرّيّة الضارّة من جذورها، وينظّف الأرض من بقايا الأوراق الذابلة، ثم يبذر بذورًا جديدة لتنبت له زرعًا صالحا. طبعًا العناية بالأرض بعد الزراعة، من ريّ وتشذيب وأسمدة، أمر لا بدّ منه. أيضًا، لدينا صورة الفلاّح الذي يذهب إلى حقله في أواخر فصل الشتاء ويقلّم الأشجار، فيقطع الأغصان اليابسة وتلك التي لم تحمل ثمرًا في الموسم الفائت، أملاً في أن ينبت مكانها أغصان تعطي ثمرًا جيّدًا، هذا طبعًا إلى جانب الإعتناء بالأشجار واحتياجاتها. هكذا نحن أيضًا، إذا خصّصنا جزءًا يسيرًا من وقتنا للإهتمام بأنفسنا، واقتلعنا الأعشاب الضارّة والأغصان اليابسة منها، أي الأفكار الشرّيرة والكراهية والثّأر، وزرعنا مكانها الفضائل المقرونة بالمحبّة: «الإيمان العامل بالمحبة» (غل ٥: ٦). مهمّ جدًّا أن نزرع الفضائل مكان الرذائل، وإلاّ يكون جهادنا بلا نفع، فيحدث معنا ما قاله الربّ في الإنجيل: «متى خرج الروح النّجس من الإنسان يجتاز في أماكن ليس فيها ماءٌ يطلب راحة. وإذ لا يجد يقول أرجع إلى بيتي الذي خرجت منه. فيأتي ويجده مكنوسًا مزيّنًا. ثمّ يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح أُخَر أشرَّ منه فتدخل وتسكن هناك. فتصير أواخر ذلك الإنسان أشرَّ من أوائله» (لو ١١: ٢٤–٢٦).

التغيير يشمل أيضًا تعاملَنا مع خليقة الله والطبيعة التي خلقها الله من أجلنا. يريد الإنسان أن يعيش في طبيعة جميلة ونظيفة، لكنّه يؤذيها ويدمّرها ويشوّهها باستمرار ويرمي أقذاره يمينًا ويسارًا، من نوافذ السيّارات وفي الطرقات. يريد أن يشرب ماءً نقيًّا ويسبح في بحر نظيف، لكنّه يلوّث الينابيع والآبار والبحار. يريد أن يتنفّس هواءً نقيًّا ولا ينفكّ عن بثّ السموم في الهواء ورمي القاذورات كيفما كان.

نريد أن نكون في وضع أفضل ونحيا حياة رغيدةً، لكنّنا لا نفعل شيئًا سوى الكلام والإمتعاض للتعبير عن عدم رضانا. الأمر كلّه بين أيدينا كي لا تتحوّل نفوسنا مطمرًا لنفايات الجشع والعداوة والرّياء والرغبة في الأذيّة. علينا أن ننتقل من الأقوال إلى الأفعال: «مَنْ عَمِل وعلَّم فهذا يدعى عظيمًا في ملكوت السموات» (مت ٥: ١٩). المهمّ أن تكون أفعالنا بحسب وصايا الربّ الذي يشاء خلاص الجميع، وأن نعمل الصلاح لتكون لنا الحياة الأبديّة ونعيش بسلام على هذه الأرض.

يقول كاتب الأمثال: «يا ابني لا تنسَ شريعتي بل ليحفظ قلبك وصاياي. فإنّها تزيدك طول أيّام وسني حياة وسلامةً... إحفظْ وصاياي فتحيا» (٣: ١–٢؛ ٧: ٢). مَن يريد أن تكون له الحياة فليحفظ (يطبّق) الوصايا كما يقول الربّ في إنجيل اليوم.

التّوبة الحقيقيّة تجلب التّقديس

لا شيءَ أعظمُ سموًّا ممّا يسمّى «التّوبة والإعتراف». هذا السرّ هو هِبةُ محبَّةِ الله للإنسان. بهذه الطريقة الكاملة يتحرَّر الإنسان من الشرّ. نذهب، نعترف، نشعر بمصالحةٍ مع الله، يأتي الفرح إلى داخلنا، ويرحل الذنب. لا طريق مسدودًا في الأرثوذكسيَّة، لأنَّ المعرِّف الذي أُعطِيَتْ له نعمةُ الغفران حاضرٌ. عظيمٌ هو الأبُ الروحيّ!

تجعلُ الخطيئةُ الإنسانَ كثيرَ الإرتباكِ نفسيًّا. هذا الإرتباكُ لا يزيلُهُ شيء سوى نور المسيح. المسيح هو المُبادِر: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين...» (مت ١١: ٢٨). نتقبَّلُ نحن البشر هذا النور برغبتنا الصالحة التي نعبِّرُ عنها بمحبَّتنا للمسيح، بالصّلاة وبالأسرار.

كي تتوبَ النفسُ، عليها أن تستيقظ، وبهذه اليقظة تصيُر أعجوبة التّوبة. لكنَّ الإستيقاظ لا يَعْتمدُ فقط على الإنسان. الله يتدخَّل وعندئذٍ تأتي النعمة الإلهيَّة. من دون النعمة لا يستطيعُ الإنسان أن يتوبَ. محبَّة الله تفعل كلّ شيء. يمكن أن يستخدم الله عدّة طرق، كالمرض مثلاً، ليجلب الإنسانَ إلى التّوبة. إذًا، التّوبة تُنجَزُ بواسطةِ النعمةِ الإلهيَّة. نحن نقوم بحركةٍ بسيطة ولطيفة تُجاه الله، معبّرين عن رغبتنا بالتّوبة، ومن هناك فصاعدًا تأتي النعمة.

يمكن أن تقولوا لي: «إذًا، بالنعمة يصيرُ كلّ شيء». هذه نقطة دقيقة. لا نستطيعُ أن نحبَّ الله، إذا لم يحبَّنا الله. يقول الرسول بولس هذا بكلام جميل: «وأمّا الآن إذْ عَرفْتم الله، بل بالحريّ عُرِفْتم من الله...». (غل ٤: ٩). الأمر نفسه يحصل في التّوبة، أي لا نستطيعُ أن نتوبَ، إن لم يُعطنا الربُّ التّوبة: «لأنَّكم من دوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا» (يو ١٥: ٥).

إذا لم توجد شروط مسبقة كي يدخل المسيح بعمقٍ في داخلنا، لا تأتي توبةٌ. الشروطُ المسبقة هي التّواضع، المحبَّة، الصّلاة، السَّجدات والتّعب من أجل المسيح (الجهاد). إن لم يكن الشعور صافيًا، ولم توجد بساطةٌ، وإن كانت للنّفس مصلحةٌ، لا تأتي النعمة الإلهيّة. عندئذٍ نعترف ولا نشعر بارتياح. التّوبة الحقيقيّة ستجلب التّقديس.

القدّيس بورفيريوس الرّائي

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

وكم من الأكاليل تأتي بعد هذا الجهاد؟ لو كان يجرّبه لما قال له كلّ هذا، لكن الآن وهو يتكلم معه من أجل جذبه يظهر له كم الأجر كبيرٌ جدًّا. لذلك، قبل أن يذكر الجهاد والتعب يتكلّم على الجائزة قائلاً: «إن أردتَ أن تكون كاملاً» وبعد ذلك يقول له «بِع أملاكك وأعطِ الفقراء» مضيفاً مباشرة الجوائز «فيكون لك كنزٌ في السماء وتعال اتبعني». مع العلم ان اتّباعه هو مكافأة كبيرة جدًّا.

«فيكون لك كنز في السماء»... لقد أعطاه الربّ أكثر مما طلب منه أن يوزّع، بقدر ما كانت السماء بعيدة عن الأرض. لقد سمّى هذا العطاء الكبير كنزاً بهدف إظهار ديمومته وضمانته، محاولاً أن يرشد الشاب إلى المعرفة مستخدماً نماذج بشرية. تالياً لا يكفي أن يزدري الواحد بالمال بل عليه أيضاً أن يعطي طعاماً للفقراء، وقبل كل شيء أن يتبع المسيح، أي أن يعمل وصاياه، وأن يكون مستعدًّا للموت من أجله موتاً يوميًّا. لأنه كما يقول في لوقا: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه كلّ يوم ويتبعني» (٩: ٢٣).

القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم